

الاعتدال كقوة ناعمة في العلاقات الدولية (الولايات المتحدة الامريكية انموذجا)

م.د. احمد حاشوش عليوي الحجامي

كلية التربية الاساسية / جامعة سومر

Abstract

Evidenced through the presentation of research that moderation is the most important diplomatic tool that can be used by the state in its relations with other states are regulating these relations in order to achieve political objectives and economic benefits, As well as a substantial role in the conflicts and wars administration down to the settled, on this basis, we find that moderation philosophy, art, and the policy is mainly linked to the attainment of peace because it pays countries to the need to reach an agreement guaranteeing the promotion of common interests and extended to multiple areas may include all aspects of human life, as well as big role in focusing international culture of security, particularly if they proved serious countries in this area because it is working to narrow and possibly end the differences and disagreement that can get between the countries due to conflicting goals, he is so is the best way for the parties because achieve its interests in the international environment, once the initiation dialogue and debate, it ensures exchange views with various topics and issues and problems and resolve differences and lead to a replacement of Wafa and increase mutual understanding and interaction and to establish a balance between the divergent interests. So is the moderation of the easiest and the shortest built and most serious in resolving the problems that might be considered by countries located in the pursuit of its own interests with other parties, at a time when the state is counting follow this method in ensuring and maintaining the interests of the purpose of cooperation and integration with others, should be the same time should use the same method for the settlement of disputes and the principle of good faith and with ingredients including Atua international peace desired by the United Nations in its Charter, which all member states have committed to in order to address and resolve disputes with other countries through peaceful means and in the forefront of the negotiations.

المقدمة

تعد القوة احد الوسائل المهمة التي تستعملها الدولة في تحقيق اهدافها ومن الظواهر البارزة التي لازمت حياة البشرية في كافة مراحلها، غير ان اشكال القوة تختلف من عصر الى اخر فقد كانت القوة العسكرية هي الحاكمة بل من ابرز مظاهر القوة لاسيما في عصر المجتمع الزراعي، ثم شيئا فشيئا بدأت القوة الاقتصادية تتعاظم لتصبح ابرز مظاهر القوة مع الانتقال الى المجتمع الصناعي، بينما شهد العالم المعاصر العديد من التحولات التي جعلت من الصعب على الممارسات الدبلوماسية القديمة الاستمرار في العمل بكفاءة، ولعل من هذه التحولات الثورة التي شهدتها وسائل الاتصال والمعلومات التي باتت من اهم المؤثرات على كافة مجالات الحياة البشرية في عالمنا المعاصر الى جانب التزايد المتصاعد في عدد الانظمة الديمقراطية والليبرالية في العالم. وعلى اثر ذلك تحتم على الدول الكبرى بصورة عامة والولايات المتحدة بصورة خاصة التحول من القوة الصلبة (العسكرية والاقتصادية) الى القوة الناعمة ومن اهم مظاهر سياسة القوة الناعمة هي سياسة الاعتدال. وعد الاخير من الوسائل الدبلوماسية الاكثر اهمية في الولايات المتحدة الامريكية وذلك لدوره في حل المنازعات وتسوية المشاكل بالطرق السلمية.

ومن هنا كان سبب اختيار الباحث للموضوع والدخول في سبر أغواره لتكوين تصور متكامل وتبسيط الضوء على موضوع قد حظي باهتمام إقليمي ودولي واسع، انطلاقاً من تفاعل تأثيراته إلى جانب ارتباطه بعوامل التوازن الدولي مما أفضى إلى انعكاس نتائجه على مجمل العلاقات المباشرة وغير المباشرة، والاهم من ذلك كانت هناك رغبة لدى الباحث في التقصي والبحث وتبسيط الضوء على سياسة الاعتدال كقوة ناعمة لتصبح منهجاً للحياة ومشروعاً

حضرانياً مُتَقَدِّماً، ورسم ملامح الصورة التي لاتزال خافية رغم البحوث والدراسات الأكاديمية التي تناولت جوانب عدة من الموضوع.

حاول الباحث في هذه الدراسة أن يسلط الضوء على عدة أمور اهمها الاعتدال لغة واصطلاحاً، وتناول المحور الثاني لمحة تاريخية عن الاعتدال في العلاقات الدولية، وتطرق المحور الثالث الى القوة الناعمة (soft power)، وكرس المحور الرابع الى العوامل التي دفعت الإدارة الأميركية لاعتماد القوة الناعمة والتراجع عن القوة الصلبة، وبحث المحور الخامس موارد ومصادر القوة الناعمة الامريكية، وخصص المحور الاخير الى خصائص ومظاهر الاعتدال.

الاعتدال كقوة ناعمة في العلاقات الدولية

يتطلب ادراك مفهوم الاعتدال كقوة ناعمة في العلاقات الدولية تفكيك المصطلح لمعرفة الجذور اللغوية والاصطلاحية والتاريخية

الاعتدال لغة واصطلاحاً:

الاعتدال لغة من العدل، وهو مصدر مشتق من الفعل عدل، ويعني التوسط وعدم مجاوزة الحد فهو مرادف للاقتصاد، والاعتدال توسط بين حالين في الكم او الكيف كقولهم ماء معتدل بين البارد والحار، وجسم معتدل بين الطول والقصر، وجو معتدل بين الحرارة والبرودة، وعدل الحكم تعديلاً أي اقامه، وعدل فلان أي زكاه، وعدل الميزان أي سواه، وكل ما تناسب فقد اعتدل، وما أقمته فقد عدلته، وكذلك اعتدل بمعنى استقام^(١). وذكر في القاموس المحيط: من معاني الاعتدال: الحكم بالعدل، والاستقامة، والتقويم، والتسوية، والمماثلة، والموازنة، والتزكية، والمساواة، والإنصاف، والتوسط^(٢).

أما الاعتدال اصطلاحاً: هو التزام المنهج الأقوم، الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط. وعرفه عبد الإله ميقاتي بأنه الحل الأمثل لما يحكى عن صراع الحضارات، فالأديان السماوية تدعو إلى التسامح ولا تقوم إلا على الاعتدال . أما لغة التطرف من أي جهة كانت فهي تولّد العنف والعنف المضاد، والاعتدال هو منهج فكري أصيل يُعنى بالبحث عن الحقيقة وتحصيلها حيثما كانت والاستفادة منها، وهو موقف يتسم بالتوازن في التفكير ويتمسك بالأصول والثوابت ويقبل الاختلاف في الفروع والمتغيرات . والاعتدال في السياسة لا يعني حلاً توافقياً بين يمين أو يسار، أو تكتيكاً سياسياً بين موالاة ومعارضة بل هو دعوة إلى اجتناب كل مظاهر الغلو والتطرف^(٣).

واكد سليم الحص بان الاعتدال لا يعني بالضرورة الوقوف في منتصف الطريق بين فكرة ونقيضها، او بين توجه وعكسه، وإنما يعني في كل الحالات التعقل والتروي والانفتاح على الرأي الآخر واعتماد الحوار والنقاش البناء سبيلاً للوصول إلى تسوية تعود بالخير على المجتمع والوطن^(٤). وعرفه أنطوان ضو بأنه دعوة للانفتاح والتواصل والرفض المطلق لمبدأ الانغلاق والغلو والفصل^(٥). وذكر ابراهيم خليل العلاف ان الاعتدال ليس تسليماً بالواقع وإنما القدرة على التعامل مع الواقع لتغييره وهو طريق ومنهج للتغيير والاستقرار وهو التوسط او التعادل بين طرفين متقابلين او متضادين^(٦). وعد الاعتدال من وجهة نظر محمد أحمد الخطيب بأنه التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو

متضادين، بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير، ويطرد الطرف المقابل، وان لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطغى على مقابله (٧).

وتيار الاعتدال هو تيار ممتد عبر التاريخ ليس وليد حالة تاريخية او اجتماعية راهنة ، وكان له دور كبير في تهدئة العلاقات الدولية وحل الخلافات والازمات الناتجة بين الدول.

لحة تاريخية عن الاعتدال في العلاقات الدولية

بدأت العلاقات الاجتماعية مع ظهور المجتمع البشري وذلك لان الانسان اجتماعي بطبعه ومن الصعب عليه ان يعيش وحيداً لذا اضطر للتعامل مع الآخرين من حوله سواء في الاكل او الحماية. وعد الرعي والصيد من اهم المهن الرئيسة الاولى التي زاولها الانسان عندما كان يسكن الكهوف، وبعد ان ازداد اعدادهم برزت الحاجة الى وجود علاقات، وكانت تلك العلاقات تأخذ شكلين علاقات الود والسلم والتسامح والاعتدال والتفاهم وعلاقات الحرب والنزاع على اماكن الرعي والصيد، وهذا مايعطينا دلالة واضحة على ان العلاقات بدأت منذ ان وجد الانسان على هذه الارض(٨).

وبعد ان هيمنت الكنيسة في العصور الوسطى على اوربا وارتبطت جميع الدول الاوربية بسلطة البابا تحولت الكنيسة الكاثوليكية الى سلطة سياسية واسعة فأخذت تفرض الضرائب وتبيع المناصب العسكرية والدينية وصكوك الغفران(٩)، فضلا عن ذلك استخدمت محاكم التفتيش للتخلص من معارضيها. الامر الذي ادى الى ظهور حركة الاصلاح الديني وتعدد الانشقاقات في الديانة المسيحية وظهور العديد من المذاهب، فضلا عن سعي الملوك للحد من نفوذ الكنيسة وقيام حرب الثلاثين عام (١٦١٨-١٦٤٨) التي ادت الى مقتل مايقرب من (٣٠%) من سكان اوربا الوسطى(١٠).

وعلى اثر ذلك عقد معاهدة وستفاليا التي عادت السلام الى اوربا ،وقد شكلت المعاهدة الاخيرة الخطوة والركيزة للعلاقات الدولية اذ قامت على اساس انتهاء النزاع والاعتدال الساسي والديني واحترام سيادة كل دولة من الدول الاوربية الموقعة عليها، وكل امير له الحق في اختيار المذهب الديني الذي يريده، وكل دولة حرة في التصرف داخل حدودها كما تشاء لانها الاعرف بشؤون مواطنيها، وعلى الدول الاوربية انتهاج سياسة معتدلة والتنازل عن بعض مطامعها الى ان يتعادل ميزان القوى او مبدا التوازن الدولي. ويقصد به انتشار عناصر القوة بين أكثر من قوتين في العالم، بما ينعكس جليا على علاقات الوحدات الموجودة في النظام الدولي(١١).

وازاء ذلك عدت معاهدة وستفاليا بمثابة نقطة تحول مهمة في تنظيم العلاقات الدولية على اسس جديدة وواضحة المعالم واقرت مبدا الاعتدال وتوازن القوى بين دول اوربا باعتبارها وسيلة لصيانة السلام (١٢)، ولذلك اطلق على هذا النظام من التوازن في العلاقات الدولية نظام توازن متعدد الاقطاب (Multipolar Power) الذي سيطر على العلاقات الدولية منذ معاهدة وستفاليا حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥، ويقوم هذا النظام على التعددية السياسية او تعدد الاقطاب الرئيسة التي تشكل عملية توازن القوى في الساحة الدولية (١٣).

وبعدما غير نابليون بونابرت خارطة السياسة الدولية في اوربا، فضلا عن كثرة المصاعب التي عاناها الاوربيون بسبب الحروب كونت ضرورة فرضت على الدول الاوربية البحث عن سياسة تستطيع بواسطتها الحلولة دون عودة الحرب مرة اخرى ولذلك كان لزاما عليها ان تؤسس نظاماً اوربياً جديداً لايقوم على القوة والحرب وتقسيم الاراضي، ومن جانبه اكد قيصر روسيا الكسندر الاول (ان اوربا بحاجة الى بناء اسس عادلة تعمل على توطيد السلام

الأوربي على قواعد ثابتة وممتينة وان هذا النظام المزمع انشائه يقوم على نبذ فكرة القوة في تحقيق الاهداف السياسية^(٤).

وعلى اثر ذلك عقد مؤتمر فينا الذي كان هدفه الرئيسي هو الاستقرار الاوربي واخضاع العلاقات الدولية الى قواعد العقل والاعتدال والاحترام المتبادل، لذلك اراد اعضاء المؤتمر المذكور ان يكون هناك حلا معتدلاً يسود بين المنافع والمطامع المتناقضة، هذا الحل المعتدل لا يمكن ان يقوم الا بتنازل متبادل بين الدول، وقد اوصت فكرة التوازن التي اقامها المؤتمر المذكور بتأسيس دول معتدلة على درجة من القوة تستطيع ان تكون اهلاً للحياة بنفسها وان تناهض مطامع الدول الكبرى^(٥).

وفي غضون ذلك عدت قرارات مؤتمر فينا من اعظم اتفاق دبلوماسي تم التوصل اليه في اوربا منذ معاهدة وستفاليا اذ حقق لاوروبا مائة عام من السلام تقريبا، وقد كانت لتلك القرارات نواحي ايجابية فقد قبل الفرنسيون نتائج فينا لانها الحققت بفرنسا اقل قدر ممكن من الخسائر، ويرى الكثير من صانعي السياسة البريطانية بان فرنسا عوملت باعتدال، ومن جانبه اكد كاستلرية وزير خارجية بريطانيا بان (من مصلحة الحكومة البريطانية ان تعامل الحكومة الفرنسية باعتدال وان تقدم كل معونة ممكنة للبروبون الاسرة الفرنسية المالكة كي تسترجع وتحفظ بولاء الشعب الفرنسي لها)^(٦).

وبعد ان ذاقت البشرية مرارة الحرب العالمية الاولى تعالت الصيحات وتضاعفت الجهود من اجل انشاء مؤسسة دولية تنظم علاقات الشعوب وتكفل للسلام ان يسود وكان على رأس او صاحب هذه الفكرة الرئيس الامريكي ولسن وقد وجدت تلك الدعوات صدى كبير لدى الدول الاوروبية وشكلت لجنة من مندوبي عن الدول الخمس وهي (الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا واليابان وايطاليا) ووضعت نظام عرف بعصبة الامم الذي اكد على سيادة الامن والسلم بين الدول ومنع الحروب وتنشيط التعاون الدولي وان تكون العلاقات الدولية مبنية على اساس العلانية والاعتدال، وان تكون قواعد القانون الدولي هي اساس التعامل بين الدول واتباع العدالة واحترام المعاهدات، والبحث عن الوسائل السلمية لحل الخلافات الدولية^(٧).

ادركت الدول المتحاربة بعد الحرب العالمية الثانية انه لامناص للشعوب الا بالتخلص من الحرب بشكل عام ووضع الخطوات اللازمة لمنع الحروب التي تهدد البشرية ومستقبلها عن طريق مؤسسة دولية قادرة على تحقيق ذلك، ولذلك انشئت في العام الذي توقفت فيه الحرب عام ١٩٤٥ منظمة الامم المتحدة وان الهدف الاساسي لانشائها هو لحماية السلم والامن الدوليين من خلال الزام الدول بالاعتدال وتسوية منازعاتهم بالوسائل السلمية^(٨). ويتكون ميثاق الامم المتحدة من ديباجة و١٩ فصل و١١١ مادة اذا اكدت الديباجة على أهمية حقوق الانسان وعلى الاعتدال والتسامح بين الشعوب والحفاظ على الامن والسلم الدوليين وعلى مبادئ حسن الجوار بين الدول، واكد الفصل الاول على اتخاذ التدابير اللازمة لمنع الاسباب التي تهدد السلم ووقف اعمال العدوان واللجوء الى الوسائل السلمية لفض المنازعات ما بين الدول، وكذلك اكد على تعزيز احترام حقوق الانسان والحريات الاساسية للناس جميعا بلا تمييز بسبب الجنس او اللغة او الدين ولا تفريق بين الرجال والنساء^(٩)، واكد ميثاق الأمم المتحدة وفقا للمادة (٤-١) والتي تنازلت فيها الدول عن استخدام القوة او التهديد باستعمالها ضد الاراضي او الاستقلال السياسي لدول أخرى وبما يتنافى مع غايات الأمم المتحدة التي تتمثل بتأمين السلم والأمن الدوليين، وتحقيق العدالة واحترام الالتزامات الدولية ورفع مستوى رفاهية الشعوب وتطورها الاقتصادي والاجتماعي^(١٠)، وقد لجأ مجلس الامن في العديد من الازمات الى محاولة التهدئة واتباع سياسة

معتدلة والطلب من الطرفين اجراء مفاوضات مباشرة واقناعهم بتسوية نزاعاتهم بالوسائل السلمية، ومن اهم هذه الازمات هي الازمة الكوبية عام ١٩٦٢، اذ اتهمت الولايات المتحدة الاتحاد السوفيتي بأنه السبب في تفاقم الأحداث، نتيجة قيامه بنصب صواريخ نووية في كوبا وألقى الاتحاد السوفيتي اللوم على الولايات المتحدة بسبب حصارها كوبا، وقد تدخل الأمين العام للأمم المتحدة (يو ثانت) مناشداً الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي لتهدئة الأوضاع وإيقاف الاستعدادات العسكرية والسعي لعقد الاجتماعات وتبادل وجهات النظر وإيجاد حل معتدلاً للازمة، وقد لقي هذا الاقتراح قبولاً لدى الطرفين بغية الخروج من تلك الازمة، واكد الرئيس الأمريكي كيندي أنه لن يضرب كوبا وسيفك الحصار عنها عاجلاً، ومن جانبه رد خروتشوف بأنه سيسحب صواريخه من كوبا، وبذلك انتهت الازمة عند هذا الحد بعد أن أوشك العالم أن يتعرض لحرب عالمية نووية^(٢١).

ويتضح من خلال ذلك بان انهيار النظام الدولي نتيجة قيام الحرب العالمية الثانية، وما أدت إليه الاخيرة من تحولات مهمة وتطورات سياسية كبيرة نتيجة واقعية من نتائج تلك الحرب ومن أهمها التحولات والتغيرات الجذرية في صورة توزيع القوى على المستوى العالمي، فقد خرجت الدول الاستعمارية أقطاب النظام القديم منهكة اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً، وفقدت موقعها المركزي في سلم تدرج القوى الدولية، بينما ظهر قطبان عالميان جديان هما: الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي، وقد أصبحا في ظل الوضع الجديد وحدهما القادرين على تقرير صورة النظام الدولي كله، بما يملكه من قدرات فائقة، وهكذا تحول النظام الدولي إلى صورته التي راحت تعرف بالنظام الدولي الثنائي القطبية (Bipolar system)، واستخدم فيها الطرفان كل اساليب الصراع وادواته التي تمكنهما من ادامة هيمنته على المسرح الدولي لاسيما ان ذلك المسرح شهد العديد من التوترات التي كادت ان تؤدي الى مواجهة مدمرة بين الطرفين^(٢٢).

وفي غضون ذلك حاول كلا الطرفين انتهاز سياسة معتدلة بغية حل بعض الازمات الدولية لاسيما بعد وفاة ستالين اذ غير الاتحاد السوفيتي سياسته فقام بمجموعة من الاجراءات عرفت باسم اللاستالينية ومن اهمها ايقاف حملة التطهير التي قام بها ستالين لتخليص الاتحاد السوفيتي من أي نفوذ غربي ومن أي اعداء محتملين لنظام حكمه، واطلاق سراح الشيوعيين الذين اتهمهم بالانحراف الوطني، فضلا عن ذلك فقد تحسنت العلاقات السوفيتية اليوغسلافية اذ عانت تلك العلاقة مرحلة من التوتر في عهد ستالين فقام خروتشوف ورئيس الوزراء بولغانين بزيارة الى يوغسلافيا في عام ١٩٥٥ لفتح صفحة جديدة في العلاقات بين البلدين، وكذلك انهى الاتحاد السوفيتي في ايار ١٩٥٥ لجنة الرقابة في المانيا، فضلا عن الموافقة على المطالب الصينية بالتنازل عن منشوريا وبعض الموانئ الصينية، وفي الوقت نفسه تبنى خروتشوف سياسة معتدلة التي انطوت على القبول بالتعايش مع المعسكر الغربي حتى وان كان هناك اختلاف في المنطلقات الايدلوجية، وذلك لان المواجهة اصبحت شبه نووية لهذا لا بد من العدول عن الحرب والعيش سلمياً مع الخصم حتى ينهار في المستقبل بفعل التناقضات وقيام الثورات في النظام الرأسمالي^(٢٣). ويتضح من خلال ذلك ان السياسة التي اتبعتها الاتحاد السوفيتي تجاه الدول الشيوعية والغير شيوعية تنسم بسياسة معتدلة.

وفي مقابل ذلك اطلقت الادارة الامريكية في عهد ايزنهاور استراتيجية الرد الشامل والتي تعني بان الولايات المتحدة ستواجه أي تهديد لمصالحها بحرب نووية شاملة غير ان تلك الاستراتيجية فشلت امام التوسع الشيوعي فقد كانت الحرب الكورية (١٩٥٠-١٩٥٣) خير دليل على ذلك فعند دخول قوات جمهورية الصين الشعبية الى كوريا الشمالية

والتفافها حول قوات الامم المتحدة بقيادة الجنرال ماك ارثر الامر الذي ادى بالأخير الى اصدار تصريحاً دعا فيه الى اعلان الحرب الشاملة على جمهورية الصين الشعبية او ضربها بالقنابل النووية^(٢٤).

اثار ذلك التصريح مخاوف الادارة الامريكية خشية ان يؤدي الى حرب معلنة مع الصين الشعبية الامر الذي يدفع الاتحاد السوفيتي بالدخول طرفاً ثالثاً بالحرب الى جانب الصين الشعبية وبالتالي يتوسع نطاق الحرب، لذا سعت الادارة الامريكية الى ادراك الموقف واتباع سياسة معتدلة، واعلنت بان قرار الجنرال ماك ارثر قراراً فردياً وخروجاً عن المهام العسكرية المناطة اليه، وفي غضون ذلك اعلن هاري ترومان قراراً باستدعائه وعزله، وعدت حرب الهند الصينية (١٩٤٦-١٩٥٤) الضربة القاضية لاستراتيجية الرد الشامل، ففي تلك الحرب سقطت فيتنام الشمالية بيد المعسكر الشيوعي دون ان تتخذ الادارة الامريكية اساليب استراتيجية الرد الشامل^(٢٥).

وعلى اثر ذلك حاولت الولايات المتحدة التراجع عن سياسة الرد الشامل واتباع سياسة ردع معتدلة لا تؤدي الى حرب شاملة وانما تكون الحد الوسط بين الدمار الشامل والاستسلام المطلق لاعتداءات الخصم وعرفت تلك السياسة بالرد المرن والردع المتدرج وتعني ان الولايات المتحدة تستخدم القوة بصورة متصاعدة الدرجات حتى يقف الشيوعيين عن الاستمرار في توسعهم^(٢٦).

وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي وحل حلف واشو عام ١٩٩١ اتاح الفرصة الى الولايات المتحدة الامريكية كي تتربع على قمة النظام الدولي مما ادى الى نقلة جذرية في العلاقات الدولية والنظام الدولي والقوى التي تتحكم فيه، اذ انتهت مرحلة ثنائي القطبية وتحول النظام الى احادي القطبية (Unipolarity)^(٢٧).

ويتضح من خلال ذلك بان هنالك العديد من التحولات التي يمكن ان تحصل في واقع القطبية الدولية نتيجة لحدوث التغير في نمو القوة بين الوحدات السياسية الدولية المختلفة المكونة للنظام الذي يتجسد في صيغة صعود قوة معينة وهبوط قوة اخرى، وما يرتبط بهذه العملية من التغيير في انماط التفاعلات السائدة بينهما، فضلاً عن التأثيرات الناجمة جراء الحروب وما يترتب عليها من نتائج، لذا فقد ارتبط التغيير في أي نظام دولي بحالات النهوض والتراجع بالنسبة للدول الاقوى التي تسيطر على النظام، وذلك من خلال استبدال القوة المهيمنة المتدهورة بقوة مهيمنة ناهضة وفقاً لعوامل القوة^(٢٨). ويقصد بالقوة هي القدرة على التأثير بالآخرين واخضاعهم لإرادة القوى الفاعلة لذلك يفرض الاقوياء ارادتهم وكلمتهم ويسيطرون الامور كما يرونها ووفقاً لمصالحهم الخاصة، وان العلاقات الدولية او التاريخ الانساني بصورة عامة محكوم بالقوة، بل هو في تجسده الواقعي حصيلة صراع القوى والنتيجة المعبرة عن هذا الصراع في مختلف مراحل التطور الانساني، لكن أشكال القوة ومظاهرها هي التي تختلف من عصر إلى آخر، فقد كانت القوة العسكرية هي الحاكمة بل أبرز مظاهر القوة في عصر المجتمع الزراعي، ثم شيئا فشيئا بدأت القوة الاقتصادية تتعاظم لتصبح أبرز مظاهر القوة مع الانتقال إلى المجتمع الصناعي، واليوم يشهد العالم تحوُّلاً حاسماً مع الانتقال الى مايسمى مجتمع المعرفة أو عصر التكنولوجيا، بحيث أصبحت المعرفة العلمية مع تطبيقاتها التقنية الأقدر على إنتاج القيمة العالية، بل وأكثر من ذلك لم يعد بمقدور أي بلد ما ان يكون قوياً عسكرياً او اقتصادياً دون ان يتمكن من توظيف وإنتاج المعرفة بكفاية في مختلف مجالات الحياة^(٢٩)، فضلاً عن ذلك برزت هناك مجموعة من المشاكل والمتغيرات فرضت الانتقال من ميادين القوة الصلبة الى ميادين القوة الناعمة، ومن اهم هذه المشاكل هي التغيرات المناخية والبيئية والنفط والطاقة والزيادة السكانية وانتشار الارهاب والاسلحة، فضلاً عن بروز عدد من القوى الصاعدة^(٣٠). الامر الذي حتم على الولايات المتحدة الامريكية الانتقال من استراتيجية القوة الصلبة الى استراتيجية القوة الناعمة.

القوة الناعمة (soft power)

مصطلح سياسي جديد دخل مؤخراً قاموس العلوم السياسية، وشاع استعماله في العلاقات الدولية، بل وانتشر الاهتمام العملي في تطبيقاته بين مختلف دوائر صناعة القرار السياسي لا سيما في الدول المتقدمة بصورة عامة والولايات المتحدة بصورة خاصة، التي عدته ذراعاً فعالاً وأداة مؤثرة في إدارة سياستها الخارجية، وعند تعاملها مع الدول والشعوب الأخرى، لخدمة مصالحها الاستراتيجية طويلة المدى، ويقصد بالقوة الناعمة هي التي تركز على الوسائل الدبلوماسية والسلمية في تحقيق الأهداف والرغبات بعيداً عن الإرغام والتهديد أو القدرة على التأثير وجاذبية الأطراف المعنية إلى المسار الذي يخدم مصالح الدولة وكيانها باستخدام الموارد المادية والمعنوية بعيداً عن الإرغام والتهديد^(٣١).

استعمل مصطلح القوة الناعمة قديماً تحت مسميات عدة مثل الدبلوماسية والحوار الفكري والإقناع والتفاوض^(٣٢) إلا أن أول من أطلق هذا المصطلح المفكر الاستراتيجي الأمريكي جوزيف ناي (Jozef S. Nay) ليشير إلى قدرة دولة معينة على التأثير في دول أخرى وتوجيه خياراتها العامة، وذلك استناداً إلى جاذبية نظامها الاجتماعي والثقافي ومنظومة قيمها ومؤسساتها، بدلاً من الاعتماد على الإكراه أو التهديد أو عن طريق دفع الأموال لشراء التأييد والمواالة كما كان يجري في الاستراتيجيات التقليدية، وهو يعني أن يكون للدولة قوة روحية ومعنوية من خلال ثقافتها وما تجسده من أفكار ومبادئ وأخلاق عن طريق الاعتدال وحقوق الإنسان والبنية التحتية والفن، مما يؤدي للآخرين إلى احترام هذا الأسلوب والاعجاب به ثم اتباع مصادره، وأدواتها تتمثل في القيم السياسية والثقافية، والقدرات الإعلامية، والتبادل العلمي والفكري، والسياسة الخارجية القادرة على مد الجسور وإقامة الروابط والتحالفات. وهي عكس القوة الصلبة التي تقوم على الإكراه والقسر، وفرض العقوبات الاقتصادية والسياسية^(٣٣).

وعرف روبرت غابيتس وزير الدفاع الأميركي (٢٠٠٦-٢٠١١) القوة الناعمة وفق خلفيته العسكرية واصفاً بأنها القدرة على تحديد وتوجيه السلوك بدلاً من فرض الإرادة، في حين وصفها مايكل آيزنشتات الباحث المتخصص في الدراسات الأمنية والعسكرية في معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى بأنها استخدام الأقوال والأفعال والصور الانفعالية في إطار حملة استراتيجية للتواصل طويلة المدى لتشكيل الحالة النفسية لبلد معادٍ أميركا وحدد أن نسبة الأقوال والتصريحات الإعلامية يجب أن تشكل (٢٠%) من حملة التواصل الاستراتيجية الناعمة، في حين تشكل (٨٠%) الباقية من برامج وأفعال وتحركات ملموسة على الأرض. وعرفت الباحثة أنا سيمونز أستاذة مادة التحليل الدفاعي في كلية الدراسات العليا للبحرية الأميركية NPS بأنها الجيل والنمط الرابع من حروب المستقبل، بالنظر إلى تبدل موازين الحروب العسكرية التقليدية، وفشل نمط حرب المدن، ونمط مكافحة التمرد، وتتميز بأنها تستهدف السيطرة على الناس، من خلال الدبلوماسية العامة والاتصالات الاستراتيجية وعمليات المعلومات والتلاعب بالمفاهيم والمشاعر، بعيداً عن احتلال وتدمير المدن ومهاجمة المواقع والقواعد العسكرية واستخدام سلاح الجو، وغيرها من الأسلحة، وعدت القوة الناعمة من وجهة نظر علي حرب بأنها القوة الرقمية والتقنية بمعلوماتها ورموزها وصورها وهوافها وشبكاتها وكتبها وكلها وسائل اتاحت خلق مساحات وميادين ومنظمات افتراضية للتواصل والتبادل والتجمع امكن ترجمتها إلى قوة خارقة وهي بمثابة تسونامي سياسي أي أن لها القدرة على تغيير الواقع واعادة بناءه سواء مايتعلق بالهوية والثقافة والسلطة والقوة^(٣٤).

ويتضح من خلال تلك التعريفات بان القوة الناعمة هي القدرة على التأثير في سلوك الدول الأخرى وسياساتها ومصالحها، وكذلك التأثير على توجهات نخبها وشعوبها عبر توظيف جملة من الوسائل: مثل الاعتدال او الأدوات الثقافية والدينية والأيدولوجية، وغيرها من الوسائل التي تشكل في مجموعها منظومة مؤثرة بطرق وأساليب ناعمة، بعيداً عن وسائل القوة والعنف والضغط والإكراه والإجبار، وهي تختلف عن القوة الصلبة او الخشنة التي تعتمد على القوة العسكرية والاقتصادية واستعمالهما بالتهديد بالعقوبات او الاستمالة وان استعمال القوة الناعمة يعني ان تجعل الآخرين يحبون بك ويتطلعون الى ما تقوم به فيتخذون موقفاً ايجابياً من قيمك وافكارك وبالتالي تتفق رغباتهم مع رغباتك. وبناء على مجمل ذلك تتشكل القوة الناعمة الأمريكية من عدد من القدرات .

١- القدرة على تشكيل تصورات ومفاهيم الآخرين وتلويين ثقافتهم وتوجيه سلوكياتهم.

٢- القدرة على تشكيل جدول الأعمال السياسي للآخرين سواء الأعداء أو المنافسين.

٣- القدرة في جاذبية النموذج والقيم والسياسات وصدقيتها وشرعيتها بنظر الآخرين.

٤- القدرة على فرض إستراتيجيات الاتصال على الآخرين "من يتصل أولاً وكيف" (٣٥)

ومن الناحية النظرية عد جوزيف ناي المنظر الأساس لمفهوم القوة الناعمة، اذ وجد ناي أن وزن الولايات المتحدة الدولي لم يعد كما كان في السابق، وأن شعبية بلده قد تدنت بشكل حاد، اذ انطلق ناي من فكرة "أن الناس قد عرفوا القوة الصلبة أي القوة العسكرية والاقتصادية للولايات المتحدة، وأدركوا بالمقابل أن استخدام القوة المباشرة والتهديدات الصريحة من شأنه أن لا يحقق النتائج المرجوة في حين أن استخدام الوجه الثاني للقوة أي القوة الناعمة سيجذب الآخرين ويرفع مستوى الإعجاب بالسياسة الأمريكية، فالقوة الناعمة تجعل من الآخر يريد ما نريد من دون إرغام كما وإنها العنصر الثابت في السياسة" (٣٦).

تنشأ القوة الناعمة من الجاذبية الثقافية لبد ما والمثل السياسية التي يحملها والسياسات التي ينتهجها في الواقع واكد ناي "عندما تبدو السياسات الأمريكية مشروعة بنظر الآخرين تتسع القوة الناعمة الأمريكية وعندما نجعل الآخرين يحبون بالمثل التي نؤمن بها ونجعلهم يريدون مانريد فإننا لن نضطر الى الإنفاق كثيراً على موارد السياسات التقليدية أي على عوامل الإرغام العسكري والإغراء الاقتصادي. ومن أهم المثل الأمريكية التي لها قدرة على تحريك وجذب الآخرين نحو الديمقراطية وحقوق الانسان وإتاحة الفرص للأفراد هي سياسة الاعتدال، وانه لا يمكن لأية حملة تواصل استراتيجية مهما كبرت وتوسعت من أن تؤثر في المجال العام للآخرين وهي تروج لشعارات ومطالب وقضايا وقيم وسياسات غير مرغوب بها شعبياً" (٣٧).

ان امتلاك موارد القوة لا يضمن انك ستحصل دائماً على ماتريد فقد كانت الولايات المتحدة اقوى من فيتنام بكثير من الموارد ومع ذلك فقد خسرت في حربها مع الاخيرة، وفي الوقت ذاته اظهرت دراسة امريكية أن فعالية الأسلحة النووية ذات القوة التدميرية المنخفضة قد تقلص بدرجة كبيرة في مناطق الغابات الكثيفة المنتشرة في المنطقة وقدرت الدراسة ان تفجير قنبلة قوتها (٢٠) كيلو طن عند الأرض المستوية سيخلف منطقة مدمرة بشكل كامل بقطر (٣٠٠) ياردة تقريباً، وذلك لقدرة النباتات الكثيفة على امتصاص الانفجار والموجات الحرارية والتساقط الإشعاعي بنسبة كبيرة جداً، وادعت الدراسة بانه سيكون هنالك إصابات مباشرة قليلة ما وراء (٥٠٠) ياردة من مركز الانفجار (٣٨)، وعلى الرغم من ان الولايات المتحدة الدولة الأقوى عسكرياً واقتصادياً ولكن ذلك لم يكن كافياً، لمنع

اختراق أمنها كما حدث في الحادي عشر من ايلول عام ٢٠٠١، وان تحويل الموارد الى قوة محققة بمعنى الحصول على النتائج المرغوبة يتطلب خططاً استراتيجية جيدة التصميم وقيادة بارعة، ومعرفة الموارد التي تقدم افضل اساس لسلوك القوة ضمن سياق معين فالنقط لم يكن مورد قوة مؤثرة قبل العصر الصناعي كما لم يكن اليورانيوم ذا اهمية قبل العنصر النووي^(٣٩). فضلاً عن ذلك ان سياق القوة عامل الارتباط بين القوة وتأثيرها في لحظة ما قد تغير بفعل عوامل لها صلة بانتشار وسائل الإعلام والاتصال والمعلومات، ويقظة المشاعر القومية والإقليمية، ولعدم ردعية السلاح النووي، وتغيير وتبدل أشكال القوة، لأن معادلات القوة لا تعمل إلا في السياق والإطار الذي توجد فيه علاقات وموازن القوى، فالدبابات مثلاً لا تعطينا النتائج المرغوبة في حرب المستنقعات ولا تصلح لحروب الغابات، ومدفعية الميدان لا تنتج مفاعيلها في مجال الدفاع الجوي والحرب الإلكترونية لا تواجه بالسفن البحرية، فكل حرب اسلحتها الفعالة وتوجهها أسلحة مضادة لها تناسب سياقها، وتبدل اليوم سياق القوة مرجحاً موارد القوة الناعمة، واصبح من الصعب في العالم المعاصر استخدام القوة العسكرية على الرغم من ضرورتها كسياسة ردع، وأصبحت الحرب أمراً مكلفاً من الناحية المادية ومثار مزايده ومناهضة من الدول الاخرى، ومن الواضح ان معظم مفاصل التاريخ مصوغة على أساس وزن كل دولة في العلاقات الدولية، مقاساً بالقوة العسكرية التي تحتكم إليها، أي بالجيوش المدربة والمنظمة، والأسلحة المتفوقة، إلا أن هذا المعيار العسكري لم يعد حاسماً أو فريداً في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، بل لربما أصبح عبئاً اقتصادياً ومصدر نزيف بشري ومادي، قد يؤدي للضعف والتراجع وربما للانهايار^(٤٠).

العوامل التي دفعت الإدارة الأميركية لإعتماد القوة الناعمة والتراجع عن القوة الصلبة.

١- العامل الديمغرافي: إذ أدى التزايد السكاني إلى تضخم حجم وانتشار سكان المدن، الأمر الذي أدى الى وضع عائق ضخم أمام اتباع النظرية العسكرية الكلاسيكية التي كانت تقوم على مبدأ السيطرة الخاطفة على الأراضي واحتلال المواقع العسكرية .

٢- على المستوى السياسي:- كان الشغل الشاغل للسياسة الامريكية اثناء مدة الحرب الباردة هو التخلص من الخطر الشيوعي الذي كان الند للولايات المتحدة وبما ان الخطر قد زال وانهار الاتحاد السوفيتي وانحل حلف وارشو فما هو المبرر اذاً لاستمرار سياسة الهيمنة والتدخل. وقد طرح هذا السؤال في العديد من الاوساط السياسية الامريكية والعالمية وهذا مادفع الولايات المتحدة الامريكية الى البحث عن استراتيجية جديدة^(٤١).

٣- التكنولوجيا السياسية : إذ وصل عدد الفضائيات إلى اكثر من (١٠) آلاف فضائية، وبلغت أجهزة الخليوي ما يقارب مليار هاتف محمول وهو ما غير في قواعد الجغرافيا السياسية في العالم، واصبح متاحاً أمام وكالة الأمن القومي الاميركي التجسس على معظم الناس ومعرفة آرائهم والتنبؤ باتجاهاتهم ووضع البرامج الثقافية والسياسية والإعلامية المناسبة لتوجيههم وفق نظرية القوة الناعمة للحصول على ما تريده الإدارة الأميركية، ووصل عدد مستخمي شبكة الانترنت في العالم أكثر من مليار و٢٤٥ مليون نسمة وتقدر نسبتهم حوالي (١٩,٨%) من سكان العالم^(٤٢). وفي مقابل ذلك فان قدرت الولايات المتحدة الثقافية ومستوى القبول العالمي بها قد انخفض من (٧٠%) عالمياً في عام ١٩٩٠ الى نحو (٤٠%) عام ٢٠٠٩، وذلك بفعل ظهور منتجين جدد في مجال صنع المعلومات وانتاجها وبثها^(٤٣).

٣- فشل خيار الحسم العسكري: كانت الحروب العسكرية تقوم على الضربات الجوية والتوغل البري واحتلال المواقع العسكرية، واستراتيجيات مكافحة التمرد في حال واجه الاحتلال مقاومة شعبية عفانية منظمة، سواء كانت المنظمات

دينية أو قومية أو حتى شيوعية، وعلى الرغم من ان القوة العسكرية لدى الولايات المتحدة الا انها منيت بخسائر فادحة في منتصف الستينيات والسبعينات من القرن العشرين امام القوات الفيتنامية عندما سقطت سايجون بيد القوات الشيوعية عام ١٩٧٥، وكذلك في الصومال عندما وجدت نفسها في وضع لا يحسد عليه فاضطرت الى الانسحاب عام ١٩٩٤، وكذلك في افغانستان عام ٢٠٠١ فانها استعانت في تقدمها البري بقوات من الشمال الافغاني لتقليل من حجم الخسائر الناجمة عن تحريك قواتها البرية^(٤٤)، وهبطت جاذبية الولايات المتحدة هبوطاً حاداً بعد غزوها للعراق عام ٢٠٠٣ على الرغم من وفرة مواردها بشكل مثير للعجاب فظهرت استطلاعات الراي ان الولايات المتحدة قد خسرت ما معدله ثلاثون نقطة تايبيد في معظم البلدان الاوربية^(٤٥)، فضلاً عن ذلك ان تورط الولايات المتحدة في السياسة الدولية وتدخلها في مناطق عديدة امر لم يعد مقبولا حتى للمواطن الامريكي، والاهم من ذلك ان اغلب دول العالم دخلت النادي النووي ولم يعد هذا الامر حكراً على الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي اذ توجد حالياً اكثر من عشرين دولة تمتلك الاسلحة النووية^(٤٦).

٤- بروز القوى الصاعدة: على الرغم من انفراد الولايات المتحدة بقمة النظام العالمي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي الا ان هذا النظام شهد تحولات هيكلية تتمثل بمحاولات قوى دولية تسعى بان ترتقي لمستوى القوى العظمى ومن اهمها روسيا والمانيا وفرنسا والصين والهند واليابان، التي رفضت الخضوع لنظام القطب الواحد^(٤٧)، فضلاً عن ظهور تكتلات ومراكز اقتصادية صاعدة اذ باتت تشمل (٨٠%) من سكان العالم، وتسيطر على (٩٠%) من حجم التجارة الخارجية ومن اهم هذه التكتلات المشهورة هي (الاتحاد الاوربي، اسيان (ASEAN)، ايبك (APEC)، ايكو (ECO)، نافتا

(NAFTA)، كوميسا (COMESA)، بريكس (BRICS) وغيرها من التكتلات الاقتصادية^(٤٨)، فضلاً عن ذلك ان دخول الولايات المتحدة في سباق تسلح مع الاتحاد السوفيتي رتب نتيجة مهمة وهي تراكم ديونها الداخلية والخارجية بلغ مايقارب (٤,٠٠٠) مليار دولار^(٤٩)، فضلاً عن دخولها في حرب استنزاف تحت عنوان الحرب على الارهاب كان نتيجته تحويل الفائض الاقتصادي الى عوامل عسكرية طوال المدة بين (٢٠٠٢-٢٠٠٨) ودخلت بحربين مكلفتين مع افغانستان عام ٢٠٠١، والعراق عام ٢٠٠٣ تسببا بانفاق مايقرب من (٥٠٠٠) مليار دولار من الميزانية الامريكية^(٥٠)، الامر الذي ادى الى اتساع الهوة بين الفقراء والاغنياء لاسيما خلال الثمانينات القرن العشرين فعلى سبيل المثال هناك (٢,٥) مليون في اسفل القائمة في مقابل (٣) مليون محرومين من المأوى وقد وصل عدد الفقراء عام ١٩٩٥ الى (٣٣,٦) مليون نسمة وهذا يعني ان (١٣,٥%) من سكان الولايات المتحدة هم فقراء^(٥١). وهو ما ادى الى مشاكل اجتماعية في الولايات المتحدة الامر الذي اثار مخاوف الادارة الامريكية، وهذا ما عبر عنه الرئيس الامريكي جورج بوش (٢٠٠١-٢٠٠٩) في خطابه الذي القاه في ٩ كانون الاول عام ٢٠٠٢ والذي وعد فيه الشعب الامريكي باتباع سياسة اقتصادية نشطة لتجنب التراجع الاقتصادي، ولم يتردد الرئيس الامريكي من القول بان (الكثير من الامريكان يعانون من البطالة... ووعد الشعب الامريكي بخلق اجواء ملائمة للمساهمة في زيادة التنمية وتطوير الاقتصاد)^(٥٢).

٥- حسابات الكلفة المالية والسياسية والبشرية: أن استخدام القوة العسكرية أصبح مكلفاً جداً مقارنة بما كان في القرون الماضية، فضلاً عن ذلك إن الكلفة المالية للحرب الناعمة لا تتجاوز انفاق مئات ملايين الدولارات، ولا يقتل في الحرب الناعمة أي مواطن أميركي، في حين قتل عشرات آلاف الجنود في حروب أميركا العسكرية، كما أن الكلفة السياسية للحرب الناعمة لا تقارن بالحرب العسكرية، ففي حال فشلت الحرب الناعمة لا أحد يحاسب الإدارة الأميركية عليها، في حين أن جورج بوش لا يزال ملطخ السمعة ويعاني من عار جرائم حربي العراق وافغانستان^(٥٣).

٦- أن انبعاث النزعات القومية قد صعب كثيراً من استخدام القوة، فعلى سبيل المثال، كانت بعض المواقع العسكرية الصغيرة قادرة على إدارة إمبراطورية، لكن في الوقت الحاضر فإن الولايات المتحدة، على سبيل المثال، وجدت أنه من الصعب إخضاع العشائر الصومالية أو تهدة الوضع في العراق، حتى مع زيادة عدد قواتها العسكرية.

٧- من الصعب استخدام القوة في صورتها القهرية لما يمثله ذلك من خطر على النمو الاقتصادي والمصالح المالية، فضلاً عن التغيير الحادث في القضايا السياسية أو بعبارة أخرى قضايا العلاقات الدولية، جعل من القوة العسكرية أقل قدرة على حل المشاكل المعاصرة، فامتلاك أقوى جيش لن يحل على سبيل المثال قضايا مثل الفقر والتلوث أو انتشار الأوبئة^(٤).

٨- أن الفاعلين غير القوميين، والمنظمات الدولية سواء الحكومية أو غير الحكومية، وكذلك الشركات متعددة الجنسية^(٥)، وحتى الجماعات الإرهابية، أصبحت قادرة على ممارسة أنواع من القوة التي كانت مقصورة في السابق على الدول الكبرى^(٦)، وأشار تقرير أمريكي أنه بالمدة المحصورة بين (٢٠٠٠-٢٠٠٣) وقعت ما يقرب من (٢٦٩) حادثة إرهابية في دول يتمتع مواطنوها بالحريات الأساسية والمشاركات السياسية^(٧).

مصادر ومصادر القوة الناعمة الأمريكية

١- الثقافة والمثل في الأماكن التي تكون جذابة للآخرين.

٢- القيم السياسية عندما يطبقها بإخلاص في الداخل والخارج.

٣- السياسات الخارجية عندما يراها الآخرون مشروعة وذات سلطة أخلاقية ومعنوية^(٨).

٤- جيوش الطلاب والباحثين الأجانب الوافدين للدراسة في الجامعات والمؤسسات التعليمية، فمن بين (١.٦) مليون طالب مسجلين في جامعات خارج بلدانهم (٢٨%) موجودين في الولايات المتحدة. فهم يشكلون جيوش يحملون معهم آلاف النوايا الطبية والودائع الحسنة عندما يعودون إلى بلدانهم وأوطانهم وينقلدون المراكز والمواقع العليا وسيصبحون سفراء غير رسميين لخدمة أميركا^(٩).

٥- المهاجرون ورجال الأعمال الأجانب في قطاع الأعمال الأميركي.

٦- شبكات الإنترنت ومحركات البحث العالمية Google و Yahoo وتويتر وفيسبوك وغيرها والمواقع الأميركية المنتشرة في الفضاء الإلكتروني.

٧- الشركات الاقتصادية العابرة للقارات لاسيما قطاع الاتصالات والمعلوماتية.

وبالإجمال تركز القوة الناعمة على كل المؤثرات والأدوات سواء كانت إعلامية أو سينمائية أو ثقافية أو تعليمية أكاديمية أو تجارية أو دبلوماسية وعلاقات عامة، وكل مصدر ومورد لا يدخل ضمن تصنيف القدرات العسكرية والقوة الصلبة^(١٠).

وازاء ذلك عمدت الدول بصورة عامة والولايات المتحدة بصورة خاصة لاسيما بعد تراجع الصورة الإيجابية التي كانت تحتلها الولايات المتحدة ك نموذج ثقافي وسياسي واقتصادي في العالم على نحو ينذر بتحولها إلى دولة عادية لها انموذجها الخاص ولا تحقق ما تطمح إليه القيادات الأمريكية من الدور السياسي والرغبة في قيادة العالم، ولذلك

ركزت الادارة الامريكية الاهتمام الى اعتماد الاعتدال كأداة للسياسة الخارجية والتي تشير الى كيفية نقل قواعد السلوك السياسي الداخلي الى مستوى العلاقات الدولية وبالتالي فان تحقيق مصالح الدولة يكون من خلال القنوات السلمية، وعلى اثر ذلك شهد الاعتدال تطوراً ملموساً على الصعيد الدولي فيها هي الولايات المتحدة اكبر دولة في العالم تعود وتركز على الجهود والمساعي السياسية والدبلوماسية بعد انصراف طويل الى الحلول العسكرية للمشاكل الدولية المتفاقمة التي تتخبط فيها، فاللهجة المرنة التي بدأت الادارة الامريكية تبنيها تجاه ايران وكوريا الشمالية بعد التشدد الظاهر في التعامل معها سابقاً، فقد ترددت ادارة الرئيس الامريكي براك اوباما (٢٠٠٩-٢٠١٧) في استخدام القوة العسكرية وبالمقابل رجحت كفة استخدام الوسائل الدبلوماسية والاعتدال في حل الخلافات بأمل تحسين صورة الولايات المتحدة التي ترسخت لدى دول العالم بما فيهم الاصدقاء والشركاء من خلال اعادة النظر في السياسة الخارجية الامريكية في اعقاب الاخفاقات التي وقعت بها ادارة سلفه جورج بوش، وقد اظهرت عينات من الراي العام العالمي جمعتها هيئة الاذاعة البريطانية بان اكثر الناس يرون في الولايات المتحدة قوة عظمى "متعطرة" تشكل خطراً على السلام العالمي (١١).

وفي غضون ذلك اعلن الرئيس الامريكي اوباما في ان التحديات الجديدة التي تواجه العالم لا يمكن التغلب عليها من قبل دولة واحدة مهما امتلكت من قدرات مالم يتم الحشد لها عبر شركات وتحالفات عريضة يتشارك الجميع في اعبائها (١٢)، وايدته في ذلك وزيرة الخارجية الامريكية هيلاري كلينتون (٢٠٠٩-٢٠١٣) في خطابها امام مجلس العلاقات الخارجية في ١٣ كانون الثاني عام ٢٠٠٩ (ان الولايات المتحدة لا تستطيع وحدها ان تحل المشاكل والازمات الدولية الملحة كما ان العالم لا يستطيع حلها بدون الولايات المتحدة فالايوم يتحكم علينا ان نقر بحقيقتين لامفر منهما يحددان مسار عالمنا اولهما انه لا توجد دولة قادرة على مجابهة التحديات التي يواجهها العالم بمفردها، ولا يستطيع العالم مجابهة التحديات بدون الولايات المتحدة الامريكية وهو مايفرض التعاون الدولي لمعالجة المشاكل بدلاً من شن الحروب (١٣) .

وقد تطابقت تبريرات الرئيس الامريكي ووزيرة خارجيته جوزيف ناي ولهذا نصح الاخير ان من يتصدى للعمل في الاستراتيجيات والسياسات الدولية أن يعرف بان للقوة لها ثلاثة أشكال: القوة العسكرية والقوة الاقتصادية والقوة الناعمة، وبثلاثة ابعاد رئيسية، فالقوة العسكرية العليا إذ تتفوق الولايات المتحدة الأمريكية فيها على الدول الاخرى من حيث الانتاج والانفاق والتكنولوجيا والنوع، أما القوة الاقتصادية الوسطى فهي متعددة الاقطاب والوحدات، اهمها الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الاوربي وروسيا واليابان والصين والهند، اما القوة السفلى للعلاقات العابرة للقومية والارهاب والمخدرات فان القوة العسكرية لاتساعد على منع انتشار الامراض المعدية او لمنع الصراع العالمي او لخلق الديمقراطية، فالولايات المتحدة استطاعت ان تهزم اليابان بالقوة العسكرية لكنها استطاعت ان تكسبها الى جانبها بالقوة الناعمة، ولذلك لجأت الولايات المتحدة الى تبني السبل الدبلوماسية لعلها تنجح في تحقيق مافشلت فيه القوة العسكرية فادارة البيت الابيض في عهد اوباما اكتشفت اهمية سياسة الاعتدال ودوره المحوري في خدمة المصالح القومية الامريكية (١٤) .

خصائص ومظاهر الاعتدال

١ - يؤدي مفهوم الاعتدال دوراً أساسياً في المناقشات المعاصرة حول مشكلات المجتمع مختلف الثقافات، وتعدد معاني هذا المصطلح فهو بالنسبة للبعض حالة مرغوبة من الاحترام او الادراك المتبادل، بينما للبعض الاخر يمثل

علاقة برجماتية على افضل تقدير، الا ان الاطروحة الرئيسة التي يتضمنها هذا المفهوم انه يعد فضيلة أخلاقية وقيمة للعدالة ومطلباً للرشد والعقل.

٢- يؤدي الاعتدال الى تطبيع العلاقات وذلك بقصد تأسيس علاقات دبلوماسية جديدة وانهاء موقف متازم، وانه من افضل الطرق لتجنب العنف والحرب والدول تعول كثيراً على فعاليته في تحقيق اتفاق يضمن في النهاية حل الازمات والخلافات الناتجة بين الدول (٦٥)، والتي تعني (لاضرر ولاضرار) وهذا المبدأ مقبول من كافة اطراف التفاوض كبديل عن الضرر المادي والمعنوي، ومن ثم فانه يحفظ للاطراف مصالحهم كافة وفق اسس عادلة ومنصفة (٦٦).

٣- عد الاعتدال بانه (جاذبيه كبرى) او افضل وسيلة لضمان مصالحهم الوطنية لاسيما في الاوضاع الداخلية فاعلم الاحزاب السياسية تمارس سياسة معتدلة لكسب اصوات الشعب لاسيما اثناء مدة الانتخابات.

٤- الاعتدال في القيم: يعد الاعتدال كالديمقراطية وحقوق الانسان يمكن ان يكون مصدر قوة ولكن بمجرد اعلانه لا يكفي فكان الرئيس ايزنهاور قلقاً من كون ممارسة الفصل العنصرية في الولايات المتحدة اخذه في تنفير الدول الافريقية وذلك لان الآخرين يراقبون كيف تنفذ الولايات المتحدة لقيمهم في الداخل كما هو في الخارج، فضلاً عن الحركة النسوية الامريكية المفتوحة والخيارات الفردية هي اشياء عميقة التخريب في المجتمعات الابوية .

٥- الاعتدال في الخطاب السياسي ففي اثناء حملة جورج بوش الانتخابية لعام ٢٠٠٠ اكثر من التصريحات التقليدية بان الولايات المتحدة ينبغي ان لا تتمدد في الخارج اكثر من اللازم، والعمل على جعل الاعتدال وحقوق الانسان والحريات الدينية والديمقراطية من اولويات السياسة الخارجية الامريكية (٦٧) .

٦- يؤدي الاعتدال الى الاستقرار السياسي والاجتماعي فلا تنمية بدون استقرار ولا استقرار بدون اعتدال وكما هو معروف فان من معايير الاستقرار السياسي والاجتماعي ازدياد فرص الانفتاح السياسي والديمقراطي المقترنين بالاعتدال في المواقف والسلوكيات فالفكر المعتدل يؤمن بالآخر ولا يرفضه ويسعى من اجل تأمين نقاط التقاء مع الآخرين ، ومن ثمار الاعتدال هو زرع الثقة بين ابناء البلد الواحد وهذا مايشيع حالة من المودة وبناء علاقات اجتماعية ايجابية والابتعاد عن التعصب والحدق الامر الذي يؤدي في بناء المجتمع وتحقيق حالة من الاستقرار التي تهين المجال للتفاعل الاجتماعي الصحيح واحراز اكبر قدر من المنجزات المفيدة (٦٨).

٧- يؤدي الاعتدال الى زرع الثقة بين مختلف مكونات العمل السياسي من ابناء الوطن الواحد، وتوفير منهج متوازن في العلاقات مع الدول الاقليمية، من خلال البحث الجاد عن نقاط التلاقي مع باقي التيارات الفكرية والسياسية على الساحة .فإن التيار المعتدل يأبى بطبيعته منطق الوصاية والانغلاق وأحادية التفكير ويؤمن بالآخر ولا يرفضه، ويعمل على تأسيس علاقة حوارية وتفاعلية معه (٦٩) .

الخاتمة

يتضح من خلال مجريات الاحداث أن الدعوة الى الاعتدال ليست وليدت مرحلة تاريخية راهنة بل هو تيار ممتد عبر التاريخ ، وكان لهذا الفكر دور كبير في تهدئة العلاقات الدولية وحل الخلافات والازمات الناتجة بين الدول. وحظى الاعتدال اليوم بقبول عالمي بصورة عامة والولايات المتحدة بصورة خاصة اوسع مما كان عليه في السابق وهو

طريق ومنهج للتغيير والاستقرار كما انه الحل الأمثل لما يحكى عن صراع الحضارات، فالأديان السماوية تدعو إلى التسامح ولا تقوم إلا على الاعتدال، أما لغة التطرف من أي جهة كانت فهي تولّد العنف والعنف المضاد.

وعدت الولايات المتحدة الأمريكية ترسيخ فكر الاعتدال من الوسائل الدبلوماسية الأهم التي يمكن أن تلجا إليها الدولة في علاقاتها مع الدول الأخرى فهي تنظم العلاقات بقصد تحقيق الأهداف السياسية والمنافع الاقتصادية ، فضلاً عن دورها الكبير في إدارة النزاعات والحروب وصولاً إلى تسويتها، لأنه يدفع بالدول إلى ضرورة الوصول إلى اتفاق يضمن النهوض بالمصالح المشتركة ومدها إلى مجالات متعددة قد تشمل جميع جوانب الحياة الإنسانية، وتؤدي إلى الاستقرار السياسي والاجتماعي فلا تنمية بدون استقرار ولا استقرار بدون اعتدال وان من معايير الاستقرار ازدياد فرص الانفتاح السياسي في المواقف والسلوكيات، علاوة على دوره الكبير في تركيز ثقافة الأمن الدولي لاسيما إذا ما اتضحت جدية الدول في هذا المجال لأنه يعمل على تضيق وربما إنهاء أوجه الاختلاف والخلاف التي يمكن أن تحصل بين الدول جراء الأهداف المتعارضة، فهو بذلك يعد الطريقة الأفضل للأطراف لأنه يحقق مصالحها في العلاقات الدولية، لذا عد الاعتدال من أسهل وأقصر الطرق وأكثرها جدية في حل الإشكالات والازمات التي يمكن أن تقع فيها الدول في سعيها وراء مصالحها الخاصة مع الأطراف الأخرى، ففي الوقت الذي تعول فيه الدولة إتباع هذا الأسلوب في ضمان وحفظ مصالحها بقصد التعاون والتكامل مع الآخرين، ينبغي عليها في الوقت نفسه أن تستعين بنفس الأسلوب لتسوية الخلافات بما يتوافق مع مقومات السلم الدولي التي اقرته منظمة الأمم المتحدة في ميثاقها بغية الحفاظ على الامن والسلم الدوليين.

الهوامش

- ١ - الطاهر احمد الزاوي، مختار القاموس، الدار العربية للكتاب، الرياض، (د.ت)، ص ٤١٠.
- ٢ - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي، القاموس المحيط، دمشق، ١٩٨٣، ص ١٠٣٠.
- ٣ - عبد الإله ميقاتي، الوسطية: مشروع الإنسانية الحضاري، بحث في المؤتمر الصحفي للإعلان عن مؤتمر الوسطية في نقابة الصحافة - بيروت، بتاريخ ٢٠٠٨/٤/٢، ص ٤.
- ٤ - سليم الحص، الوسطية : ما لها وما عليها، بحث في المؤتمر الصحفي للإعلان عن مؤتمر الوسطية في نقابة الصحافة - بيروت، بتاريخ ٢٠٠٨/٤/٢، ص ٢٣.
- ٥ - أنطوان ضو، الوسطية في الإسلام، بحث في المؤتمر الصحفي للإعلان عن مؤتمر الوسطية في نقابة الصحافة - بيروت، بتاريخ ٢٠٠٨/٤/٢، ص ٢٦.
- ٦ - ابراهيم خليل العلاف، منهج الوسطية ومنهج الاستقرار في عالم متغير، مركز الدراسات الإقليمية، جامعة الموصل، العدد ٦٠، ٢٠١٠، ص ١٩.
- ٧ - محمد أحمد الخطيب ، الوسطية بين الإفراط والتفريط، بحث في المؤتمر الصحفي للإعلان عن مؤتمر الوسطية في نقابة الصحافة - بيروت، بتاريخ ٢٠٠٨/٤/٢، ص ٥٥.
- ٨ - هایل عبد المولى طشطوش، مقدمة في العلاقات الدولية، عمان الاردن، ٢٠١٠، ص ٩.
- ٩ - هويدا عدلي، التسامح السياسي: المقومات الثقافية للمجتمع المدني في مصر، القاهرة ٢٠٠٠، ص ٨٠؛ أياد رشيد محمد الكريم، ميزان تعادل القوى في العلاقات الدولية، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد ١٧، العدد ٩، تشرين الاول ٢٠١٠، ص ٧١٥.
- ١٠ -الحسان بو قنطار، عبد الوهاب معلمي، العلاقات الدولية، الدار البيضاء، ١٩٨٨، ص ٢٠؛ اسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية، دراسة في الاصول والنظريات، القاهرة، ١٩٩١، ص ٤٦.

- ١١ - اسماعيل صبري مقلد، العلاقات السياسية الدولية، دراسة في الأصول والنظريات، القاهرة، ١٩٩١، ص٤٧، مازن اسماعيل الرمضاني، السياسة الخارجية دراسة نظرية، بغداد، ١٩٩١، ص ٢٣٨.
- ١٢ - علي عودة العقابي، العلاقات السياسية الدولية: دراسة في الأصول والتاريخ والنظريات، ليبيا، ١٩٩٦، ص٤٤.
- ١٣ - خالص يوسف حتى، النظرية في العلاقات الدولية، بيروت، ١٩٨٥، ص٤٨-٥٤.
- 14 - Brian E. Vick, The Congress of Vienna : power and politics after Napoleon, London, 2014, pp.66-70.
- ١٥ - هنري كسنجر، درب السلام الصعب، ترجمة علي مقلد، بيروت، ١٩٨٤، ص٦١-٦٦.
- ١٦ - خور الدين حاطوم، تاريخ الحركات القومية يقضة القومية الاوربية والقومية الوطنية، ج ١، بيروت، ١٩٦٧، ص ٢٨٠-٢٨٣.
- ١٧ - كارل دويش، تحليل العلاقات الدولية، ترجمة شعبان محمد، القاهرة، ١٩٨٣، ص١٠٣، حسن نافعة، محمد شوقي عبد العال، التنظيم الدولي، القاهرة، ٢٠٠٢، ص٢٠.
- ١٨ - نزيه علي منصور، حق النقض (الفيتو) ودوره في تحقيق السلم والامن الدوليين، بيروت، ٢٠٠٩، ص٦٣.
- ١٩ - علي صادق ابو هيف، القانون الدولي العام، ط١١، الاسكندرية، ١٩٧٥، ص٧٩-٨٣.
- ٢٠ - رامي محمد عمار، الوجيز في المنظمات الدولية، (د.م)، ٢٠٠٣، ص٦١.
- ٢١ - هائل عبد المولى طشطورش، المصدر السابق، ص١٩٩-٢٠٠.
- ٢٢ - محمد طه بدوي، مدخل الى علم العلاقات الدولية، بيروت، ١٩٩٢، ص٢٦٠.
- ٢٣ - ايناس سعدي عبد الله، الحرب الباردة: دراسة تأريخية للعلاقات الأمريكية-السوفيتية ١٩٤٥-١٩٦٣ كوبا إنموزجا، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية للبنات، جامعة بغداد، ٢٠٠٩، ص٧٤؛ هائل عبد المولى طشطورش، المصدر السابق، ص٢٣١.
- 24 - Richard D. Turner, Challenger , National Security in the Nuclear Age: Basic Facts and Theories ,London, 1960, pp.39-40.
- 25 - Michel, H. Hunt, Beijing & the Korea Crisis, June 1950- June 1951, London, 1992, pp. 64-68.
- ٢٦ - سليم الحسني، مبادئ الرؤساء الامريكان ط٢، لندن، ١٩٩٣، ص٧٥.
- ٢٧ - ريتشارد هاس، الفرصة لحظة امريكا لتغير مجرى التاريخ، ترجمة سعد كامل الياس، الرياض، ٢٠٠٧، ص٨٦-٩٠؛
- Hanspeter Neubold, Collective Security After "Operation Allied Force", Max Planck Yearbook Of United Nations Law 4 Kluwer Law International, Netherlands 2000, p.81.
- ٢٨ - حيدر علي حسين، رؤية مستقبلية لتحولات القطبية الدولية، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، العدد ٤٣، ٢٠١٣، ص٤.
- ٢٩ - كريم ابو حلاوة، سياسات القوة الذكية ودورها في العلاقات الدولية، دمشق، ٢٠١٥، ص١٢.
- ٣٠ - علي بشار بكر اغوان، الفوضى الخلاقة العصف الرمزي لحرائق الشرق الوسط، بيروت، ٢٠١٣، ص٣٤٣-٢٤٤.
- ٣١ - مسفر بن ظافر عائض القحطاني، إستراتيجية توظيف القوة الناعمة لتعزيد القوة الصلبة في إدارة الأزمة الإرهابية في المملكة العربية السعودية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الامنية، جامعة نايف العربية للعلوم الامنية، الرياض، ٢٠١٠، ص٥٩.
- ٣٢ - المصدر نفسه، ص٦٩.
- ٣٣ - جوزيف س.ناي، القوة الناعمة وسلبية النجاح في السياسة الدولية، ترجمة محمد توفيق البجيرمي وعبد العزيز عبد الرحمن الثنيان، الرياض، ٢٠٠٧، ص٢٥-٢٦.
- ٣٤ - علي حرب، ثورات الحرب الناعمة في العالم العربي-من المنظومة الى الشبكة، ط٢، الدار العربية للعلوم، ٢٠١٢، ص١٣.
- ٣٥ - مركز الحرب الناعمة للدراسات، الحرب الناعمة الاسس النظرية والتطبيقية، بيروت، ٢٠١٤، ص ٥٧-٥٨.
- ٣٦ - جوزيف س.ناي، المصدر السابق، ص ٢٠.
- ٣٧ - المصدر نفسه، ص ٥٥-٥٦.
- 38- (National Archives of Australia), Appendix "B", "A study on the effects of nuclear air attacks upon selected logistic targets in south China and North Vietnam", revised draft paper, Australian Joint Intelligence Committee, 9 February 1956, A1838/269, TS688/18.
- ٣٩ - جوزيف س.ناي، المصدر السابق، ص ٢٢.
- ٤٠ - مركز الحرب الناعمة للدراسات، المصدر السابق، ص ٧٢-٧٤.

- ٤١ - وجيه غارودي، حفارو القبور الحضارة التي تحفر للإنسانية قبراها، ط٣، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٦٤.
- ٤٢ - صحيفة الراي الاردنية، العدد ١٣٦٣٥، تاريخ ٢٠٠٨/٢/٥.
- 43 - Stewart Patrick, Weak States And Global Threats: Fact Or Fiction?, The Washington Quarterly, Washington Spring 2006, pp. 67-71
- ٤٤ - بول كيندي، الاعداد للقرن الواحد والعشرين، التحولات الاقليمية، ج ٢، ترجمة نظير جاهل، سرت، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، ١٩٩٥، ص ١٨٠.
- ٤٥ - جوزيف س. ناي، المصدر السابق، ص ٦٥.
- 46 - Michael. Mandelbaum, lesson of the next Nuclear War, Foreign Affairs, Vol.74, No.2, March-april 1995, p.21.
- ٤٧ - عاطف معتمد عبد الحميد، استعادة روسيا مكانة القطب الدولي ازمة فترة الانتقالية، الدار العربية للعلوم ومركز الجزيرة للدراسات، ٢٠١٠، ص ٣١-٦٠، بايتس نيغل، النجم الصاعد الصين: دبلوماسية امنية جديدة، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٩١.
- ٤٨ - هنري كيسنجر، هل تحتاج امريكا الى سياسة خارجية؟ نحو دبلوماسية للقرن الحادي والعشرين، ترجمة عمر الايوبي، ط٢، بيروت، ٢٠٠٢، ص ٧٢.
- ٤٩ - سمح عبد الفتاح، انهيار الامبراطورية السوفيتية، نظام عالمي جديد احادي القطبية، عمان، ١٩٩٦، ص ٢١٨.
- 50 - John Gordon IV And Others, Domestic Trends In The United States, China, Santa Monica, National Defense Research Institute, 2008, pp. 6-10
- ٥١ - محمد عمارة وآخرون، العالم الاسلامي والنظام الدولي، الخلفية التاريخية والتحولات المعاصرة، طرابلس، ١٩٩٢، ص ١٤٢.
- ٥٢ - اديفيد هارفي، الامبريالية الجديدة، ترجمة وليد شحادة، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٥٥.
- ٥٣ - مركز الحرب الناعمة للدراسات، المصدر السابق، ص ١٩-٢١.
- ٥٤ - المصدر نفسه.
- ٥٥ - عبد الخالق عبد الله، العالم المعاصر والصراعات الدولية، الكويت، ١٩٨٩، ص ٢٦.
- ٥٦ - جان لوك مارية، تقنيات الارهاب، ترجمة يوسف محمد، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٤٣.
- ٥٧ - امنة علي سعيد، اليمين الامريكي المحافظ، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة النهرين، ٢٠٠٨، ص ١١٣.
- ٥٨ - جوزيف س. ناي، المصدر السابق، ص ٣٢-٣٨.
- ٥٩ - محمد حمدان، الحرب الناعمة-رمزية اوباما الجديدة، مجلة حمورابي، العدد ٢٠١٢، ص ٣، ١٩.
- ٦٠ - مسفر بن ظافر عائض القحطاني، المصدر السابق، ص ٧٢.
- ٦١ - جوزيف س. ناي، المصدر السابق، ص ١٠٨-١٠٩.
- 62 - The Heritage Foundation, Solutions 2014, Washington, 2014, P. 195.
- ٦٣ - مركز الحرب الناعمة للدراسات، المصدر السابق، ص ٧٥.
- ٦٤ - زياد خلف عبد الله الجبوري، تطور الدبلوماسية-دراسة تحليلية، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية، العدد ٩، المجلد ١٤، تشرين الاول ٢٠٠٧، ص ٥٠٦-٥٠٥.
- ٦٥ - وسام صالح عبد الحسين الربيعي، دور المفاوضات في السلم الدولي، مجلة كلية التربية الاساسية للعلوم التربوية والانسانية، جامعة بابل، العدد ٢٠، نيسان ٢٠١٥، ص ٤٤٢.
- ٦٦ - بشير العلاق، ادارة التفاوض، عمان، ٢٠١٠، ص ١٦.
- ٦٧ - جوزيف س. ناي، المصدر السابق، ص ١٠٢.
- ٦٨ - ابراهيم خليل العلاق، المصدر السابق، ص ٩.
- ٦٩ - منتصر الزياد، الوسطية والتوازن السياسي، بحث في المؤتمر الصحفي للإعلان عن مؤتمر الوسطية في نقابة الصحافة - بيروت، بتاريخ ٢٠٠٨/٤/٢، ص ٩٨.